الصوت الأنثوي في الشعر الأموي: قراءة لأثر الشاعرات في المشهد الشعري

The Female Voice in Umayyad Poetry: A Study of the Influence of Poetesses on the Poetic Scene

م.د زينب غازي كريم كاظم
Zainab Ghazi Karim

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل

college of Education for Humanities / University of Babylon

***Keywo*rds: Poetesses, Umayyad Era, Influence, Scene, Poetry**

الكلمات المفتاحية : الشاعرات، العصر الأموي، التأثير، المشهد، الشعر

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى استكشاف حضور الشاعرات في العصر الأموي بوصفهنّ مكوّنًا فاعلًا في المشهد الشعري، من خلال تتبّع تجلّيات الصوت الأنثوي ومضامينه الجمالية والفكرية. ويركّز على كيفيات التعبير التي وظفتها الشاعرة الأموية لتأكيد ذاتها ضمن واقع ثقافي واجتماعي يغلب عليه الطابع الذكوري.

Abstract:

This research aims to explore the presence of female poets in the Umayyad era as an active component of the poetic landscape. It traces the manifestations of the feminine voice and its aesthetic and intellectual themes. The study focuses on the expressive strategies employed by Umayyad poetesses to assert their identities within a cultural and social context dominated by patriarch*y.*

المقدمة:

يُعدُّ الشعر في العصر الأموي من أبرز ملامح الحياة الثقافية التي عكست طبيعة المجتمع وتحولاته، وقد احتلت المرأة في هذا العصر موقعًا مميزًا في الخطاب الشعري، سواء بوصفها موضوعًا للشعر، أو باعتبارها مبدعة تمارس الشعر بنفسها. إن دراسة الشاعرات في العصر الأموي و تمثل محاولة لفهم الأبعاد المختلفة التي ظهرت بها المرأة في النتاج الشعري لهذه الحقبة، وتبيان مدى تأثر صورة المرأة بالظروف التي ميزت العصر الأموي.

وقد جاء اختياري لهذا الموضوع نتيجة للاهتمام المتزايد بدراسة هذا النوع من المواضيع في الأدب، ولا سيما في العصور الإسلامية المبكرة. كما أن قلة الدراسات المعمقة التي تتناول دور المرأة تحديدًا في الشعر الأموي حفّزتني على تناول هذا الموضوع بالبحث والتحليل.

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث قمت بجمع عدد من النصوص الشعرية التي ورد فيها ذكر المرأة، سواء في الغزل أو الرثاء أو غيرها من الأغراض الشعرية، ثم قمت بتحليلها ، كما حاولت قراءة النصوص في ضوء السياق التاريخي والاجتماعي الذي أنتجها.
حيث جاء البحث على مطلبين : الأول الجانب النظري ، والثاني الجانب التطبيقي ثم ختمت الدراسة بأهم النتائج التي توصلت إليها ،تلحقهما قائمة بالمصادر والمراجع

أولا: الجانب النظري:
إنّ المرأة قد كُرمّت عبر مسيرة التاريخ، بدءاً من العصر الجاهلي، ومروراً بالعصر الإسلامي والأموي، وانتهاء بالعصر العباسي؛ حيث أدت المرأة دوراً مرموقاً ومشهوداً منذ بزوغ فجر تاريخ الأمة العربية، وهذا الدور سطرته صفحات التاريخ البيضاء شعراً ونثراً. فالمرأة وقفت جنباً إلى جنب الرجل مشاركة إياه بكل فعالية في بناء الحضارة العربية العريقة، وقد شهد لها الكثير من الباحثين والمؤلفين والكتاب بتفوقها في هذا المجال الحيوي، ولعل هذا من أحد الأسباب التي دعت الباحث إلى لكتابة عن شعر المرأة بدءاً بتاريخها القديم، أما الحديث فهو مشهود ومعروف وشعر المرأة انعكاس لمكانتها الثقافية في المجتمعات العربية .

ففي العصر الجاهلي كان الشعر الجاهلي ((وسيلة للتعبير عن الفخر والانتماء القبلي، وكان للمرأة حضور بارز فيه حيث حدثنا تاريخ العصر الجاهلي عن وجود أدبيات شاعرات وناثرات وناقدات ،ولا يمكن أن تصل المرأة إلى هذا المستوى الرفيع من فصاحة البيان ،وبلاغة الكلام وثقة الرجال بأحكامها ما لم تكن خلفيتها الثقافية و العلمية مستندة إلى معرفة واسعة بعلوم اللغة العربية والا لاعترى شعرها الوهن والضعف ولأصاب مكانتها الأدبية التراجع وعدم التفوق))[١]

امّا في العصر الإسلامي تحوّل الشعر ليخدم الأغراض الدينية والأخلاقية، ومع ذلك استمرت المرأة في نظم الشعر، مع التركيز على قضايا المجتمع والتقوى وصولا إلى العصر الاموي حيث شهدت المرأة حضورًا قويًا كشاعرة وملهمة حيث أن المرأة شاركت الرجل في قرض الشعر، وسايرته في معظم أبوابه المعروفة في ذلك العصر، كالرثاء، والفخر، والغزل، والشكوى والاستعطاف، وإثارة الحماس والتحريض على القتال، وغيرها غير أن شعر الرثاء كان أكثر الأغراض تداولاً لدى الشواعر ومرد ذلك إلى كون المرأة أسرع إلى إظهار الحزن والتعبير عنه، وتصوير انفعالاتها وجزعها، لرهافة إحساسها))[٢]

و الشعر في العصر الأموي مرحلة متميزة في تاريخ الشعر العربي، حيث شهد تطورا لافتا في الأغراض الشعرية والأساليب الفنية، نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي رافقت قيام الدولة الأموية. ورث الأمويون التراث الشعري الجاهلي والإسلامي وأضافوا إليه أبعادا جديدة نتيجة امتداد دولتهم جغرافيا وتنوع الثقافات التي تأثرت بها، مما جعل الشعر في هذا العصر أكثر تنوعا وثراء(٣)

((كذلك الظروف المؤثرة في تطور الشعر الأموي تمثّلت بمجموعة من الظروف فمع تأسيس الدولة الأموية في دمشق، تهيأت الظروف لاستقرار اجتماعي وسياسي، ساعد على ازدهار الفنون، ومن بينها الشعر و توسعت الدولة الأموية لتشمل مناطق واسعة من شبه الجزيرة العربية والشام والعراق وخارجها، ممَّا أتاح للشعراء الاحتكاك بثقافات متعددة. انعكس هذا التنوع على أساليبهم ومضامينهم الشعرية)).[٤] والشعر الأموي كان امتدادا للشعر الجاهلي من حيث الشكل والبنية، لكنه شهد تطورا كبيرًا في أغراضه نتيجة للتغيرات السياسية والاجتماعية التي طرأت في ذلك العصر ومن أهم أغراض الشعر الأموى المدح حيث كان المدح من أبرز أغراض الشعر الأموي، حيث استخدم في تمجيد الخلفاء والأمراء والولاة واتسم المدح في العصر الأموي بميل نحو مبالغة في تصوير الفضائل و ازدهر الهجاء في العصر الأموي بسبب الانقسامات القبلية والصراعات السياسية(٥)

أمّا في العصر الأموي، فشاع الغزل فيه شيوعاً واسعاً حتى كثرت تقسيمات الدارسين والباحثين للغزل في هذا العصر، فيكاد يستقر رأيهم على نوعين بارزين وهما الحسي والعفيف[٦]

و((ظل الفخر حاضرًا بقوة، سواء على المستوى الفردي أو القبلي حيث ركّز الشعراء على تمجيد أصولهم و انتمائهم وانتصاراتهم في الحروب، أمّا الرثاء فقد تطور في العصر الأموي ليشمل تمجيد خصال الميت والبكاء عليه. وظهرت أشعار رثاء سياسية كانت تتمثل في رثاء الشخصيات السياسية البارزة مثل الخلفاء أو الزعماء القبليين كما ازدهر الوصف بشكل كبير في العصر الأموي. وصف الشعراء مظاهر الطبيعة والصيد والصحراء، بالإضافة إلى المعارك والأحداث اليومية))[٧].

ولم تكن المرأة المسلمة في العصر الأموي بعيدة عن مجال صناعة الحضارة الإسلامية، بل كانت ركناً أساسياً في تكوين الحضارة، بالإضافة إلى دورها التربوي في بيتها، وكذلك دورها في التربية والتعليم خارج بيتها كالمسجد والمجالس العلمية، وغيرها، وقد رصدت كتب كثيرة (أعلام النساء) دورها الحضاري في العصر الأموي و مكانة المرأة الاجتماعية: كان المجتمع الأموي متأثرًا بالبنية القبلية التي منحت المرأة مكانة كبيرة داخل الأسرة والقبيلة فالمرأة كانت تُعتبر رمزًا للشرف والكرامة، وكانت تُشارك في اتخاذ القرارات داخل المجتمع القبلي و البادية احتفظت المرأة بمكانة متميزة بسبب طبيعة الحياة القبلية التي جعلت

منها شريكًا فاعلًا في الإنتاج والحياة اليومية. و في الحضرمع تطور المدن مثل دمشق والكوفة والبصرة، شهدت المرأة تحسنًا في مستوى التعليم والثقافة، حيث تمكنت من الانخراط في الحياة الثقافية والمجتمعية(٨).

((مع بزوغ فجر الإسلام، استمرت النساء في المشاركة الأدبية. نظمت بعضهن قصائد في المديح والهجاء والفخر والرثاء. بعض النساء تناولن قضايا اجتماعية وسياسية بشعرهن، ما جعل أصواتهن حاضرة ومؤثرة.تُظهر هذه المشاركات الأدبية أن المرأة في تلك العصور كانت حاضرة وفاعلة في المشهد الثقافي، تُعبر عن مشاعرها وتشارك في القضايا الاجتماعية من خلال الشعرفجاء الأدب وسيلة لإثبات الذات، والتعبير عن النفس، والحفاظ على الشخصية))(٩). وكذالك ((نجد للمرأة دور مهم في الحياة السياسية ففي البلاط الأموي، كان لبعض النساء دور سياسي كبير، خاصة من الطبقة الأرستقراطية. ساعدت هذه النساء في تعزيز مكانة أسرهن والتأثير على قرارات الدولة. اما في الجانب الاقتصادي أدار بعض النساء أعمالًا تجارية ناجحة و ايضًا تمتعت المرأة في العصر الأموي بحقوق الملكية والوراثة وفقًا للتعاليم الإسلامية، مما مكّنها من إدارة أموالها وممتلكاتها بشكل مستقل))(١٠).

أمّا في الجانب الديني فقد برزت النساء في طلب العلم الديني ونشره، حيث شاركت العديد منهن في تعليم القرآن والحديث وظهر في العصر الأموي نساء زاهدات و قد أخذ عنهن كثير من العلماء والمحدثين و تناقلوا أقوالهن و رووا عنهن(١١)

و((يتجلى دور المرأة في الأدب الأموي بظهور العديد من الشاعرات اللاتي عرفن بمواقفهن الأدبية وجرأتهن النادرة وهو ما يعكس دور المرأة المتنامي في الحياة الثقافية والاجتماعية آنذاك. لم تكن المرأة الأموية مجرّد موضوع في الشعر الذكوري ، بل تجاوزت ذلك إلى أن تصبح طرفًا فعّالًا في نظم الشعر.ر حيث برعت بعض النساء في نظم الشعر، وكنّ يمتلكن قدرات إبداعية مميزة جعلتهن يتفوقن على بعض الشعراء الرجال)).(١٢)

و إلى جانب دورها كشاعرة، شكّلت المرأة في العصر الأموي مصدر إلهام أساسي للشعراء لذلك كانت المرأة حاضرة بقوة في أشعار الرجال حيث أنّ الصورة التي رسمها الشعراء الأمويون للمرأة في عصرهم تكاد تكون جديدة غير مألوفة في الحياة الاجتماعية في العصرين الجاهلي وعصر صدر الإسلام، إذ ، ومن بينها صورة المرأة الرمز، فهي رمز لشرف القبيلة ورمز لقوتِها ومنعتها؛ لذلك أصبحت محورًا للكثير من قصائد الفخر أو الهجاء، فشعراء هذا العصر أكثروا من الحديث عن نساء قبائلهم أو قبائل محبوباتهم، فيصفون نسَبَهُنَّ الرَّفِيعِ وَجَمَالَهُنَّ الباهر والنعيم الظاهر بما يظهر مكانتهن بنسائهم على وجه الخصوص فيقول(١٣)

((خاصة في شعر الغزل الذي كان أحد أبرز أنواع الشعر في العصر الأموي. وقد انقسم الغزل في هذا العصر إلى نوعين: الغزل العذري الذي تميّز بالعفة والطهر وارتبط بالبادية، والغزل المطلق أو الغزل الموحش الذي انتشر في المدن الكبرى كدمشق والكوفة. المرأة كانت مصدر الإلهام الرئيسي للشعراء في كلا النوعين، حيث صورها الشعراء رمزًا للجمال والأنوثة والحب))[١٤] ونستنتج مما سبق إن للمرأة حضور فعال في الادب الاموي وكان لها نتاجات مهمة وسنبين في المباحث القادمة أهم الأغراض الشعرية التي تناولتها .

ثانياً : الجانب التطبيقي:

ولعل (**ليلى الأخيلية،**) تأتي في مقدمة الشاعرات الأمويات، بمراثيها الكثيرة، لتوبة بن الحمير، وأشهرها، تلك الرائية المُفْعَمَة، بالعاطفة الصادقة، والأحزان المؤلمة، تقول(١٥) :

أَيَا عَيْنُ بَكَى تَوْبَةً بن حمير كَأَنَّ بسَحُ كَفَيْضِ الْحَدُولِ المُتَفَجْرِ
لتبكِ عليهُ من خفاجة نسوة بماء شوونِ العَبْرَةِ المُتَحَدر
كان فَتى الفِتْيَانِ، تُوبَةً لَمْ يَسر بنَجْدٍ وَلَمْ يَطْلَّعُ مَعَ المُتَغَوْر

تعبّر عن الحزن العميق لفقده، حيث تنادي الشاعرة عينها لتذرف الدموع بغزارة، مثل فيض الجدول المتفجر، وتدعو نساء خفاجة إلى البكاء عليه بدموعهن المتساقطة.

ليلى الاخيلية تهرقُ الدمع، غزيرا على محبوبها، وتدعو رَهْطَهُ للبكاء عليه؛ لأن هلاكه أذهب بأفعال الشجاعة، والكرم، والإقدام التي ملا بها الدنياو بذلك تقول(١٦) :

قَتَلْتُمْ فَتى لا يُسْقِطُ الرَّوْعُ رُمْحَهُ إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ فِي قنا مُتَكسر
فَيَا تَوْبَ لِلهِيجا وِيَا تَوْبَ لِلنَّدَى ويَا تَوْبَ للمسبح المتنور

ترثي ليلى الأخيلية فارسها الشجاع توبة، مبينة ثباته في الحرب، وكرمه، وتقواه تصفه بأنه لا يهاب الموت ولا يسقط رمحه وسط المعارك وتنعي فقدان رجل جمع بين البطولة والعطاء والعبادة. أسلوبها يجمع بين الحزن والفخر، ويغلب عليه الصدق وحرارة العاطفة.

وتتابع **ليلى الاخيلية** ، نَدْبَهَا لتوبة، دُونَ أَنْ تَهْدَأَ نفسها، أو تجف دموعها، فهي تَسْتَعْظِمُ مَوْتَهُ، وتَرَاهُ خسارة لِمِثْلِه؛ لأنه نال المكارم كلها. تقول(١٧) :

فتي كانت الدنيا تَهُونُ بِأَسْرَهَا عَلَيْهِ وَلَا يَنْفَكُ جَمَ التَّصَرُّف
يَنَالُ عِلِيات الأمور بهونة إِذَا هِيَ أَعْيَتْ كُلّ خِرْق مُشرف
فَيَا توبُ مَا في العيش خير ولا ندى. يُعَدُّ وَقَدْ أَمْسَيْتَ فِي تُرْبِ نَفْنَف

ليلى الأخيلية تقف موقف النذّابة، تُحيل مشاعرها إلى كلمات شعرية تعبّر عن هول الفقد. توبة لم يكن مجرد رجل عادي؛ بل كان فارسًا، كريمًا، سيدًا تُضرب به الأمثال في المروءة والشجاعة. لذا، فخسارته بالنسبة لها وللعالم من حولها فادحة

ونجد أنّ **ليلى الاخيلية** ميالة إلى أسلوب، وطريقة القدامى، في نظم الشعر، تقول معددة خصاله (١٨)

أَغَرُ حَفَاجِيَا يَرَى الْبَحْلَ سُبَّة تَحَلَّبُ كَفَاهُ النَّدَى وَأَنَار مِلَهُ

عفيفًا بَعِيدَ الهَمْ صلبا قناته جميلاً مُحَيَّاهُ قَلِيلاً غَوَائله

وقَدْ عَلِمَ الجوع الذي بات ساريا عَلَى الضيف والجيرَانِ أَنَّكَ قاتلة

يبيتُ قَرِيرَ العَيْنَ مَنْ بَاتَ جَارَه ويضحي بخير ضيفه ومنازله

تستمر ليلى في رسم صورة الحبيب الفارس، الشهم، الكريم، الذي يُجسّد مثالًا يُحتذى في الرجولة والمروءة. هذا المقطع لا يركّز على لحظة الفقد، بل يستدعي حياة الفقيد، ويقدّم لنا سيرة مختزلة غنية بالصفات المثالية،

لقد حافظت المرثية في العصر الأموي، على الموضوعات التي تناولتها الراثيات، قبل هذه الفترة؛ لأن القائمات عليها، ظلينَ يُعدّدْنَ الفضائل والمناقب، بلغة تتدفق لوعة، وحسرة، كما هو شأن **زينب بنت الطثرية** في بكائها لأخيها بزيد إذ تقول(١٩) :

فتي كَانَ يُروي المشرفي بكفه وَيَبْلَغُ أَقْصَى حَجْرَة الحَيَّ نَائِلة

فَتَى لَيْسَ لابن العَمَ كالذنب إن رأى بصَاحِيهِ يَوْمَا دَمَا فَهُوَ آكِله

يَسُرُّكَ مَظْلُومَا وَيُرْضِيكَ ظَـالِمَ وكل الذي حملته فَهُوَ حَامِـلُه

إِذَا نَزَلَ الأَصْيَافُ كَانَ عَذَوَّرًا عَلَى الحَيَ حَتَّى تَسْتَقِلُ مَرَاجِلُهُ

فهي تصفه بالفارس السهم الذي تتجلى فيه معاني القوة والعدل والكرم يظهر تمكنه من السيف في قوله يُروى المشرفي بكفه، دلالة على شدة بأسه، ويبرز عدله في نصرة المظلوم دون الميل للقرابة. وانَّه كريم يصل عطاؤه إلى أقصى الناس.

وتشيد **الرباب زوجة الحسين (ع)**، بفضائل زوجها، من إيمان، ومروءة فتقول(٢٠) :

إن الذي كان نورًا يُسْتَصَاءُ به بكربلاء قيلَ غَيْرُ مَدْفُون

قَدْ كُنْتَ لِي جَبَلاً صَعْبًا أَلُوذُ به وكُنْتَ تَصْحَبْنَا بالرحم والدين

من لليتامى ومن للسائِلِينَ وَمَنْ يُغني وياوي إليه كل مِسْكِين

تعبّر فيه عن حزنها العميق لفقده في كربلاء دون دفن. تمدحه بأنه كان نورًا يُهتدى به، كريمًا، رحيمًا، يعطف على الأيتام والمساكين ،و تظهر في الأبيات مشاعر الفقد والفخر ممزوجة بصور بلاغية معبرة. الأسلوب صادق وعاطفي، يعكس مكانة الإمام الحسين عليه السلام في القلب والدين.

ويبدو أن (**مليكة الشيبانية**) ، تعمد دائما في رثائها، إلى تعداد الصفات التي أرادها الله لعباده الصالحين، فها هي ترثي عمها بقولها(٢١) :

أبكي المغيب في الثرى بَيْنَ النَّضَائِدِ وَ الصَّفَائِح
مَنْ ذَا يُرَجَي للنصيحة حين تُعتقد النصائح
أمْ ً مَنْ يُؤمل لليتيم وكل ذي غرب ونائح

ترثي مليكة الشيبانية عمها بأسلوب يفيض حزنا وتقديرا لصفاته الصالحة فتصوره رجلا يُحتذى به في النصيحة والرحمة باليتيم جامعا بين الرفق والشجاعة.وتمثل ابلغ صور الفقد و الموت و مدى فداحة المصيبة

وفي أبيات اخرى ترثي فيها أباها، وأفراد من عائلتها تقول(٢٢) :

مَعْشَرٌ فَضُوا نُحُوبَهُمْ كُلُّ مَا قَدْ قَدَّمُوا حَسَن
صَبَرُوا عِنْدَ السَّيُوفِ فَلَمْ يَنْكُلُوا عنهَا وَلَا جَبْنُوا
فيَةً بَاعُوا نُفُوسَهُمْ لاَ وَرَبِّ البَيْتِ مَا غُبِنُوا

و كذلك نلاحظ تأثر الخارجيات، بالقرآن الكريم في رثائهن ، كما هو باد، في البيتين الأخيرين **للشيبانية**، فضلاً عن كشفهن لاستهانة الميت بالدنيا، وتشوقه للموت، في ساحة الجهاد،ونستطيع ، في رشائهن، أن نتعرف إلى عادة اجتماعية كانت النساء يقمن بها ، وهي عادة خلع الخمار والخروج سافرات ، وزيارة المقابر ، وهذا مانستشفه من قول مليكة الشيبانية (٢٣)

القيت جلبابي العظم رزيت وبرزت سافرة بغير خمار
و زرت المقابر كي أسلي عبرتي هيهات ممن زرت بعد مزار

وأما غرض المدح لم يقتصر على الشعراء فقط في العصر الأموي، وبل قد حافظت كثير من الشاعرات على هذا الغرض، وخير دليل على ذلك ما تناولته ليلى الأخيلية على هذا اللون من الشعر لمدحها في الغالب الأمراء والخلفاء والولاة، كما مدحت أيضا القبائل العريقة كال مطرف، وبني أبي بكر بن ربيعة.(٢٤)

فهنالك الكثير من النماذج التي أنشدتها **ليلى الأخيلية** في هذا اللون الشعري فقد مدحت جدها عامر بن عبادة بن معاوية"، وهو ابن النفاضة، فهي معنزة بنسبها وأعمامها، فهى ترى أنهم سادة بني كعب، وأصحاب السؤدد والكرم والجود والمجد. وتقول(٢٥):

وَكَمْ قَدْ رَأَي رَائِيْهِمْ وَرَأَيْتَهُ بِهَا لِي مِنْ عَمَّ كَرِيْمٍ وَمِنْ أَبِ

فَوَارِسُ مِنْ آلِ الْنَفَاضَةِ سَادَةً وَمِنْ آلِ كَعْبِ سُودُدٌ غَيْرُ مُعَقب

هذه الأبيات تمجد الشاعرة جدها وأصولها، موضحةً أن لها فخرًا كبيرًا بنسبها العريق. فهي تُظهر كيف أن جدها كان موضع احترام وإعجاب، وتصف أجدادها وفوارسها من القبائل التي ينتمي إليها كعائلة نبيلة وعظيمة

أما قصيدتها في مدح آل مطرف تقول(٢٦) :

لا تَغْزُونَ الدَّهْرَ آلَ مُطْرف لا ظَالِمًا أَبَدًا وَلَا مَظْلُومَا
فَاقْصُد بِدذرَاعِكَ لَوْ وَطِئتَ بِلادهم لأقت بكارتك الحقَاقُ قَرُومَا
وتعاقِبَتْكَ كتائب ابن مطرف فَأَرْتِكَ في وضحالصباح نجوما

القصيدة تظهر آل مطرف كقوم شجعان وأصحاب حق لا يظلمون أحدًا ولا يُظلمون. وتصفهم بأنهم دائمًا على استعداد للقتال والحفاظ على شرفهم، وهم معروفون بقوة أسلحتهم وشجاعتهم في المعارك. الشاعرة تمدحهم وتُظهرهم في صورة الأبطال الذين لا يُهزمون في أي معركة وأنهم دائمًا منتصرون كالنجم الساطع

وتصفهم أيضا قائلة(٢٧)

وَإِذَا تَشَاءُ وَجَدْتَ مِنْهُمْ مَانِعًا فَلْجَاً على سَخَطِ العَدُو مُقِيمَا
أَوْ نَاشِئًا حَدَثًا تُحْكَمُ مِثْلُهُ صلَّعُ الرَّجَالِ تُوارِثُ التَّحْكِيمَا
لَنْ تَسْتَطِيعَ بِأَنْ تُحَوْلُ عِزَّهُمْ حَتَّى تُحَوَّلَ ذَا الْهِضَابِ يَسُومَا
إِنْ سَالَمُوكَ فَدَعْهُمْ مِنْ هَذِهِ وَارْقُدْ كَفِي لَكَ بِالرِّقَادِ نَعِيمَا

رجال آل مطرف رجال قوة وصمود، يميزهم الغضب والعناد أمام العدو، وهذا الذي يجعلهم حكماء وعادلين رغم سنهم سواء صغيرا أو كبيرا، مما يجعل المشايخ أو سادة آل مطرف يوظفون هؤلاء الرجال.

ومدحت أيضا بني أبي بكر بن ربيعة فقالت(٢٨)

إِنْ كُنْتَ تَنْعِي أَبَا بَكْرَ فَإِنَّهُم بِكُلُّ سَاحَةِ قَوْمَ مِنْهُم أثر
نُعْمَى وبؤسى بِأَفَاقِ البلادِ فَمَا أَعْدَاؤُهُم مِنْهُم، وَلَا قَدَرُوا
والعالِمُون إِذَا مَا الْأَمْرَ ضَاقَهُم أَنَّي يُحَاوِلُ فِيهِ الوِرْدُ وَالصَّدَرُ
وَاخْتَرْت آلَ أَبِي بَكْرَ لِحَاجَتِنَا وَكَانَ فِيهِم لِمَنْ يَخْتَارُهُم خَيْرُ
وَمَا اتَّهَمَتِ بَنِي جُزْءِ بِظَنَّتِهِ وَمَا أَسَامُوا وَمَا ضَاعَ الَّذِي خَطَرَدُوا

تمدح ليلى الأخيلية بني أبي بكر بن ربيعة فتظهرهم قومًا أصحاب كرم شجاعة، وحكمة، لهم أثر في كل ساحة وموقف تصفهم بأنهم ملجأ عند الحاجة، لا يخذلون ولا يكلون وأعداؤهم لا يستطيعون مجاراتهم. وتؤكد أنهم يتركون بصمة عظيمة في البلاد، ويُعتبر اختيارهم في الشدائد اختيارا للفخر والمروءة

فالشاعرة الأموية امتزجت مع المدح فجعلت منه قالبا تصب فيه خلجاتها ونوازعها الذاتية والجماعية في التنويه بفضائل الممدوح ، والتغني بمحاسن صفاته ، وذكر صفاته الخلقية من شجاعة وكرم وعفة وايثار، من ذلك قول **أم سنان** تمدح أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : (٢٩)

عزب الرقاء فمقليو ما وترقد والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لا مقام فشمروا إنَّ العدو لآل أحمد يُقصد
هذا علي كالهلال تحفة وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق وابن عم محمد وكفى بذلك والعدو يهدد
ما زال مُذْ شهد الحروب مظفرا والنصر فوق لوائه ما يفقد

في هذ تمدح الشاعرة أم سنان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)، وتصفه بأعلى مراتب الشجاعة والنبل تبدأ بنداء إلى آل مذحج لتحفيزهم على النهوض، مؤكدة على عظمة علي الذي هو ابن عم محمد (صلى الله عليه وآله) ورمز للنصر والبطولة تبرز بطولاته في الحروب، حيث لا يهزم أبدًا، والنصر دائما يكون حليفا له كما تشير إلى أن العدو يستهدف آل محمد، لكن عليا يبقى شامخا كالكواكب في السماء والنصر لا يفارقه.

وقالت تمدح الإمام علي (عليه السلام) وتعترف بالخلافة له : (٣٠)

اما وهلكت أيا فلم تَزَل بالحق تعرف هادياً مهديا
فاذهب عليك صلاة ربكَ مَا دَعَتْ فوق الغصون حمامة قمريا
قد كنت بعد محمد خلفاً كما أوصى إليك بنا فكنت وفيا
فاليوم لا خلف يومل بعده هيهات نأمل بعده إنسيا

تمدح الشاعرة أم سنان الإمام علي (عليه السلام) وتعترف له بالخلافة، مؤكدة على فضائله العظيمة مثل الهدى الوفاء، والشجاعة تصوره كه خليفة شرعي وهاد مخلص، وتؤكد على استحالة إيجاد خليفة مثله بعده، معبرة عن الفراغ الكبير الذي تركه في الأمة بعد وفاته.

ومن جيد المدح في هذا العصر ما قالته امرأة من إياد في شجاعة ابن عمرو، وسماحته ونجدت، تقول

الخَيْلُ تَعْلَمُ يَوْمَ الروع إذ هزمت أن ابن عمرو لدى الهيجاء يحميها
لم يبد فحشاً ولم يُهْدِ لِمَعْظَمَةٍ وكُلُّ مَكْرُمَةٍ يُلفى يُساميها
المستشار لأمْرِ القَوْمِ يحزبهم إذا الهنات أهم القوم ما فيها
لا يرْهَبُ الجار منه غدرة أبداً وإن ألمت أمور فهو كافيها(٣١)

وصفت الشاعرة ابن عمرو هذا بالشجاعة وبجزالة برأي وقوة العارضة وبراعة النفس والعقل، وبحسن الوفاء للجار فيكون جاره آمناً لا يخاف ختلاً ولا مكراً منه، بل ويدافع عنه إن وقعت أمور من خارج الجوار.

ومن جيد المدح في هذا العصر كذلك ما قالته (**الجهضمية**)في مدح حماس ابن ثامل، وهي تشيد ببلاغته وفصاحته خاصة:

وذو حطب يوماً إذا القوم أفحموا تصيب مرادي قوله ما يحاول
بصير بعورات الكلام إذا التقى شَرِيجَانِ بين القوم حق وباطل
أتيو لما ويأتي الكريم بسيفه وإن أسلَمَتْــهُ جُنْدُه والقبائل
وليس بمعطاء الظلامة عن يد ولا دُونَ أعلى سورة المجد قابل(٣٢)

و مدحت امرأة من بني قشير خالد بن عبد الله القسري فقالت :

إليك يا ابن السادة الأماجد يَعْمد في الحاجة كل عامد
فالناس بين صادر وارد مثل حجيج البيت نحو خالد
أشبهت يا خالد خير والد أشبهت عبد الله في المحامد(٣٣)

لم تلتزم الشاعرة بمنهج القدماء من حيث تعدد الأغراض وتشعب الموضوعات كما فعل أغلب شعراء عصرها، فقد دخلت إلى المدح مباشرة من غير مقدمات، فمدحته بنقاء الأصل ورفعة شرف الانتساب - يا ابن السادة الأماجد - ثم وصفته بالكرم فجعلت بيته محجاً لجميع الناس يقصدونه للتزود بعطاياه، فالناس في حركة دائمة بين ذاهب وآيب كالحجيج

ولم تقتصر الشاعرات على غرض معين بل تنوعت باغراضها ومن ذلك الغزل

إذ يحتل الغزل المرتبة الثانية في شعر شواعرنا، في هذا العصر، ولا عجب في ذلك، فهن من شواعر العصر الأموي الذي كثر فيه الغزل كثرة مفرطة وتعددت اتجاهاته تعدداً لم يعرف له مثيل في أي من عصور أدبنا العربي(٣٤)

ونبدأ بغزل **ليلى العامرية** صاحبة قيس بن الملوح (المشهور بمجنون ليلى)

تقول : (٣٥)

كلانا مظهر لِلنَّاسِ يبغْضاً وَكُلٌّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِيـــــن
تُبلغنا العُيون بما أردنـــا وَفِي القلبين نم هَوَى دَفِيـــن
وَتُظهر جَفْوةٌ مِنْ غَيْرِ حِقد وَحُبَّكَ فِي فُوادِي مَا يَبيـــن
فَطِبُ نَفساً بِذَاكَ وَقَرْ عَيْناً فَإِنَّ هَوَاكَ فِي قلبي مصـــون
وَأَسْرَارُ اللَّوَاحِظ لَيْسَ تخفى وَقَدْ تُغْزى بِذِي اللحظ الطَّنُونُ
وَكَيْفَ يَفوتُ هَذَا النَّاسَ شَيءٌ وَمَا فِي النَّاسِ تُظهره العيون

هذا النص من النصوص الشعرية التي تختلج بها عاطفة الشاعرة اتجاه من تحب بطريقة غير مباشرة خوفا من المجتمع الذي تعيش به، فتحادثه بلغة العيون

وقالت فيه :

بَاحَ مَجْنُونُ عَامِرٍ بِهَوَاهُ وَكَتمُتُ الهوى فَمِتُ بِوَجْدِي
فَإِذَا كَانَ فِي الْقِيَامَةِ نُودِي مَنْ قَتيلُ الهَوَى؟ تَقَدَّمْتُ وَحْدِي(٣٦)

تبين الشاعرة معاناتها من حبها الذي جعل جسد بلا روح فكتمت هذا الحب حتى أودى بها فأصبح ألمشهد الشعري كيوم القيامة عندما ينادي المنادي فتتقدم هي وحدها لأنها ماتت بكتمان الهوى

وأنشأت تقول ايضاً :

إذَا دَهلَتْ رِحلِي بَدَأْتُ بِذِكْرِهِ وَأَحْلُمْ فِي نومي بــه وأعيـــش
إذَا ذُكِرَ المجنون زالت بذكره قُوَى النَّفْسِ أَوْ كَادَ الفؤاد يطيش
وَوَاللَّهِ مَا كَادَ الفؤاد يُجنـــه وَإِنْ كَانَ صَدْرِي مِنْ هَوَاهُ يَجِيش(٣٧)

تعبر الشاعرة في أبياتها عن حب عميق صامت يملأ كيانها، يظهر في السفر، ويلاحقها في المنام، ويكاد يذهب بعقلها عند ذكر المجنون قيس بن الملوح، لكنها رغم ذلك تنكر تمام الجنون، وتظهر أنها تعاني بصمت، حيث يفيض صدرها بالحب والحنين.

امّا **عقيلة بنت الضحاك**، فهي أيضاً شاعرة غزلة من العصر الأموي(٣٨)

سَأَلْتَ وَلَوْ عَلِمْتَ كَفَفْتَ عَنْهُ وَمَنْ لَكَ بِالْجَوَابِ سِوَى الْخبِيرِ
فَإِنْ تَكُ ذَا قَبول إن عمراً هُوَ الْقَمَرُ المُضِي لِمُســـتْتنير
وَمَالِي بِالتَّبَعُلِ مُسْتَـــرَاح وَلَوْ رد التبَعُلُ لي أسيـــــري

الشاعرة ترفض التدخل في شؤون قلبها، وتوضح أن اختيارها العاطفي عمرو لا يُضاهى، فهو كالقمر في نوره ومكانته. ومع ذلك، تعلن أنها لا ترى في الزواج راحة، حتى لو كان وسيلة لاستعادة محبوبها، مما يُعبّر عن حب صادق حر، لا يقاس بقيود الزواج أو رأي الناس.

وايضا تقول : (٣٩)

إذَا رَقَدَ النيام فإن عمـــرا تُؤرقه الهموم إلى الصباح
تُقَطْع قَلْبَهُ الذكرى وَقَلبي فلا هُوَ بِالخَلِي وَلَا بِصَـــاح
سقى الله اليَمَامَةَ دَارَ قَوْمٍ بها عَمْرُو يَحِنُّ إلى الرواح

الشاعرة تصوّر عمرو رجلا مهمومًا، تتقطعه الذكريات وتعيش هي ذات الوجع بينهما صمت وحب مكتوم. وفي النهاية، تمتزج مشاعرها بحنينه، فتنقل حبها للمكان لأنه مسكنه، ودعاءها له بالخير

أما (**العيوف بنت مسعود ابنة أخي ذي الرمة**) ، فهي شاعرة غزلة أيضاً من شواعر العرب في العصر الأموي، قالت تتغزل: (٤٠)

خليلي قُومَا فَارْفَهَا الطَّرْفَ وَانْـظُرَا لصاحب شَوْقٍ مَنْظراً مُتَراخيا
عَسَى أَنْ نَرَى وَاللهُ مَا شَاءَ فَاعِـلُ بأَكْثِبَةِ الدَّهنا مِنَ الحَـــيَّ بَادِيَا
وَإِنْ حَالَ عَرْضِ الرَّمْلِ وَالْبُعْدِ دُونَهُم فَقَدْ يَطْلُبُ الإِنْسَانُ مَا لَيْسَ رَائِيَا

يَرَى اللَّهُ أَنَّ القَلْبَ أَصْحَى ضَمِــيرُهُ لَمَا قَابَلَ الرَّوْحَاءَ وَالعَرْجَ قَالِيًا

القصيدة تُروى بصوت امرأة عاشقة، عالقة بين الأمل واليأس، بين الشوق والمكان. القصة تتصاعد من التأمل والرجاء إلى الإدراك والاستسلام لمشاعر لا تقهرها المسافة. هذا السرد يُعيد للغزل العذري بعده الإنساني: الحب كتجربة وجدانية كاملة، وليس مجرد مشهد شعري.

أما **شقراء ابنة الحباب** فأحبت يحيى بن حمزة حبا أنساها حبها الأول فأصبح يحيى حبها الأول والأخير، وفيه تقول(٤١):

محا حُبُّ يَحْيَى حُبُّ يَعْلَى فَأَصْبَحَتْ لِيَحْيَى تَوَالَى حُبْنَا وَأَوائلـــــه

الا بأبي يحيى وَمَثنـــــى رِدَائِهِ و حيث الْتَقَتْ مِنْ مَتن يَحْيَى حَمَائِلُهُ

صورت الشاعرة حبها ليحيى بن حمزه وكأنه ضوء مثير امتثلها من عتمتها التي كانت فيها فظهرت في النص تعلقها الشديد ومن ثم أظهرت لنا صفاته الحسنة تجاهها وما يضمره من حب لها

الخاتمة:

يتضح لنا أن العصر الأموي كان بمثابة مرحلة مفصلية في تاريخ الأدب العربي، حيث شهدت فيه الساحة الأدبية بزوغ عدد من الشاعرات المبدعات اللواتي تركن بصمات واضحة في تطور الشعر العربي. فقد كانت هذه الفترة مليئة بالتغيرات السياسية والاجتماعية التي أدت إلى بروز المرأة في مجالات مختلفة، بما في ذلك الأدب والشعر، رغم أن المجتمع الأموي كان بشكل عام مجتمعًا ذكوريًا.

ويظهر جليًّا أن الشاعرات في العصر الأموي لم يكنّ ظلاً باهتًا في المشهد الأدبي، بل كنّ أصواتًا قوية وفاعلة، استطعن من خلال الرثاء والمدح والغزل أن يرسمن ملامح مشاعر المرأة، وعقليتها، ومكانتها في المجتمع. وقد كان لإبداعهن دور واضح في إثراء الشعر العربي وتعزيز حضور المرأة الكاتبة والمبدعة في الثقافة العربية الإسلامية

فكانت العوامل التي شهدها العصر الأموي، مثل انفتاح المدن الكبرى، وزيادة العلاقات بين الطبقات الاجتماعية المختلفة، فضلاً عن سعة انتشار الثقافة العربية، من أبرز الأسباب التي ساهمت في ظهور الشاعرات. كما أن ازدهار البلاط الأموي والحوافز التي قدمها للخطباء والشعراء ساعدت في تعزيز هذه الظاهرة الأدبية، حيث تمكّنت بعض الشاعرات من المشاركة الفاعلة في الحياة الأدبية والفكرية، وهو ما أسهم في إبراز المواهب الشعرية النسائية.

وبذلك كانت الأغراض الشعرية التي تناولتها الشاعرات في هذا العصر، فقد كانت متنوعة وشاملة لعدد من المواضيع التي كانت تمس واقعهن بشكل مباشر شملت الغزل و الرثاء و المدح

الهوامش:

١) مكانة المرأة وإسهاماتها في الأدب العربي القديم:١٧

٢)شعر النساء في صدر الإسلام و العصر الأموي ،د سعد بو فلاقة ،دار المناهل، بيروت ط١ ٢٠٠٧ م،: ١١٠-١١١

٣) ينظر : المقارنة بين الشعر الاموي و العباسي في العصر الأول تأليف دكتور عزيز فهمي، دار ،المعارف القاهرة ١٩٧٩ ، ط ١: ٥٢

٤)الادب الأموي تاريخه وقضاياه ،دكتور زكريا عبد المجيد ،ط١، مطبعة الحسين الإسلامية ،١٩٩٣م: ١٢٥

٥) ينظر:المقارنة بين الشعر الاموي و العباسي في العصر الأول تأليف دكتور عزيز فهمي،دار المعارف/ القاهرة ١٩٧٩، ط ١ : ٥٢

٦) ينظر:اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، يوسف بكار ، دار الأندلس، ط٢، ١٩٨١، : ٥٤
٧)الفخر في الشعر العربي تأليف سراج الدين محد ،ط١،دار الراتب الجامعية ،بيروت ٢٠٠٠ م : ٢٠
٨) ينظر:دراسات في تاريخ الحياة الإسلامية رؤية حضارية، د/ عبد الحليم عويس،،مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،٢٠٠٩،د ط، : ١١٤-١١٧

٩) شعر النساء، د سعد أبو فلاقة،دار المناهل بيروت،ط١، ٢٠٠٧ :١٢١

١٠)أشعار النساء - أبو عبيد الله المرزباني، تحقيق د. سامي مكي العاني وهلال ناجي - دار الرسالة – بغداد:٨١.

١١) ينظر :أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة،، بيروت،ط١، ١٩٥٩: ج٣، ص ٢٠

١٢) في الادب العربي القديم ، : الدكتور محمد صالح الشناطي دار الأندلس للنشر و للتوزيع، ط٢ ، ١٩٩٧،: ١٩/٢

١٣) ينظر:صورة المرأة في شعر شعراء العصر الأموي ،د انتصار مسرهد علي ،المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية،العدد ٢٠ سنة ٢٠٢١ م :٥٢

١٤)تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام،الدكتور شكري فيصل ،مطبعة دمشق، ط١ ،١٩٥٩ : ٢٣١

١٧)كتاب الأغاني ،أبو الفرج الأصفهاني،دار الفكر، بيروت ،الجزء ١١: ٢٢٤

١٨)المصدر نفسه: ٢٢٣

١٩-الشعر والشعراء ،ابن قتيبة ،دار الحديث،القاهرةط٢ ، ٢٠٠١ :٢٥٥

٢٠- الأغاني ،أبو الفرج الأصفهاني،دار الفكر، بيروت ط٢، ١٩٩٤، :٩٤/١٦

٢١-اشعار النساء:١٢٦

٢٢-العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق احمد امين، دار الكتب العلمية ،ط٣: ٢٦٠/٣

٢٣- اشعار النساء، مصدر سابق :١٩٩

٢٤) ينظر:شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، : ١٤٤

٢٥) ديوان ليلى الاخيلية، ليلى الاخيلية،دار صادر للطباعة والنشر،١٩٩٨،ط١، : ٥٤

٢٦) المصدر نفسه، ١٠٩-١١٠

٢٧)ليلى الأخيلية : ١١٠

٢٨)المصدر نفسه : ٦٧

٢٩) بلاغات النساء ، القاهرة : ٣٠/١

٣٠) المصدر نفسه : ٣١/١

٣١)أروع ما قيل في المدح بين الشعراء ، يحيى شامي :٥٢

٣٢) المصدر نفسه :٦٨

٣٣) أشعار النساء، : ٩٩.

٣٤) تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي،شوقي ضيف ، ، القاهرة، ط١ ، ١٩٦٣: ٣٤٧

٣٥) مجنون ليلى ديوانه، تحقيق عبد الستار أحمد ، دار مكتبة مصر، القاهرة، ط١: ٢٩

٣٦) شاعرات العرب، بشير يموت :١٥٨

٣٧) ديوان مجنون ليلى، : ٣٠

---

٣٨) الأغاني ،أبو الفرج الأصفهاني،دار الفكر، بيروت ط٢، ١٩٩٤ ، مج ٨ ، : ٤٤

٣٩) المصدر نفسه : ٤٥

٤٠) معجم الأدباء ، ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية،بيروت ، ١٩٩١: ، مج٢، : ٤٩٣ – ٤٩٤

٤١) شاعرات العرب، بشير يموت ، : ١٩٧.

المصادر:

- اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، محمد مصطفى هدارة ، دارالمعارف ،بيروت ط١ ، ١٩٦٣
- الادب الأموي تاريخه وقضاياه ،دكتور زكريا عبد المجيد ،ط١، مطبعة الحسين الإسلامية ،١٩٩٣م
- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة،، بيروت،ط١، ١٩٥٩: ج٣
- الأغاني ،أبو الفرج الأصفهاني،دار الفكر، بيروت ط٢، ١٩٩٤ ، مج ٨
- تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، شوقي ضيف ، ، القاهرة، ط١ ، ١٩٦٣
- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام،الدكتور شكري فيصل ،مطبعة دمشق، ط١ ،١٩٥٩
- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ،البغدادي، مكتبة الخانجي،القاهرة ١٩٩٧،ج/٣
- ديوان مجنون ليلى ، تحقيق عبد الستار أحمد ، دار مكتبة مصر، القاهرة، ط١:
- ديوان ليلى الاخيلية، ليلى الاخيلية،دار صادر للطباعة والنشر،١٩٩٨،ط١
- شاعرات العرب، بشير يموت ، تح عبد القادر ، بيروت \ لبنان ، ١٩٩٨م
- شعر النساء في صدر الإسلام و العصر الأموي ،د سعد بو فلاقة ،دار المناهل، بيروت ط١ ٢٠٠٧ م
- الشعر والشعراء ،ابن قتيبة ،دار الحديث،القاهرةط٢ ، ٢٠٠١٥
- صورة المرأة في شعر شعراء العصر الأموي ،د انتصار مسرهد علي ،المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية،العدد ٢٠ سنة ٢٠٢١
- العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق احمد امين، دار الكتب العلمية ،ط٣:
- الفخر في الشعر العربي تأليف سراج الدين محد ،ط١،دار الراتب الجامعية ،بيروت ٢٠٠٠
- دراسات في تاريخ الحياة الإسلامية رؤية حضارية، د/ عبد الحليم عويس،،مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،٢٠٠٩،د ط
- في الادب العربي القديم ، : الدكتور محمد صالح الشناطي دار الأندلس للنشر و للتوزيع، ط٢ ، ١٩٩٧
- معجم الأدباء ، ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية،بيروت ، ١٩٩١: ، مج٣
- المقارنة بين الشعر الاموي و العباسي في العصر الأول تأليف دكتور عزيز فهمي، دار ،المعارف القاهرة ١٩٧٩ ، ط ١